مداخلة بعنوان

الدرس الصوتي عند أبي عمرو الداني في القرآن الكريم

Abūamraddani's Phonological studies in holy Quran

إعداد:

د/لخضر عفيف

طالب دكتوراه، إعجاز القرآن والدراسات البيانية، كلية العلوم الإسلامية باتنة مخبر العلوم الإسلامية بالجزائر.

lakhdar.afif@univ-batna.dz

أ.د/ عبد الرحمان معاشي

أستاذ التعليم العالي، كلية العلوم الإسلامية، باتنة- مخبر العلوم الإسلامية بالجزائر.

Abderrahmane.maachi@univ-batna.dz

كلمات مفتاحية: الدرس الصوتي؛ علم الأصوات؛ أبو عمرو الداني.

مقدمة:

الحمد لله الذي أنزل القرآن على عبده ليكون للعالمين نذيرا، والصلاة والسلام على من جعله ربه للسالكين سراجا منيرا، بلغ أمته الكتاب، وأخذه عنه الأصحاب وعنهم أتباعهم، وهكذا مضت القرون جيلا عن جيل، إلى يوم لقاء الجليل.

أما بعد؛ فتعتبر اللغة أصواتا يعبر بها كل فرد عن حاجاته، ما حمل أصحاب كل لغة إلى العناية بأصوات لغتهم منذ عصور قديمة بغرض التواصل؛ حيث شكل الصوت المادة الأولى في تشكيل اللغات، والذي جعل البحث في الصوتيات ضرورة في الدرس اللغوي العربي، هو كونه منبثقا من الدراسات القرآنية، منذ تنزل أوائل آيات الكتاب، إلى نشأة علوم القراءات وعلوم التجويد.

كما يتصل المستور الصوتي اتصالا وثيقا بالعلوم اللغوية؛ من الصرف والمعجم والدلالة.

وقد كان لأبي عمرو الداني مشاركة فعالة، وآراء مميزة، تتوافق مع تقدمه في علوم القرآن والقراءات.

وحرصا منا على إضاءة هذا الجانب من علوم الإمام الداني، رأينا أن نشارك بهذه الورقة الموسومة بـ**"الدرس الصوتي عند أبي عمرو الداني"**.

لتجيب عن الإشكالية الآتية:

ما طبيعة الدرس الصوتي عند أبي عمرو الداني؟

وتفرعت عن هذا السؤال مجموعة تساؤلات فرعية، رتبناها على النحو التالي:

- ما الفرق بين المصطلحات التي استعملها في دراساته؟
- ما مدى دقة أبي عمرو الداني في دراساته الصوتية؟
- ما المنهج الذي اتبعه في دراسته؟

أهداف الموضوع:

تهدف هذه الورقة إلى جملة من الأهداف متمثلة في ما يلي:

- التعرف على **الجهود الصوتية** للإمام الداني.
- التعرف على **الإضافة العلمية** للإمام الداني بمؤلفاته ودراساته.
- قياس مدى **تأثره** بمن سبقه، **وتأثيره** في من لحقه من العلماء.

المنهج المتبع: سارت بنا الدراسة في سبيل الإجابة على الإشكالية المطروحة إلى اعتماد المنهج الوصفي، مطعما بآلية التحليل، في سبيل الوصول إلى وصف دقيق لجهود الإمام أبي عمرو الداني في الدراسات الصوتية العربية.

الخطة:

1- مقدمة: تتضمن أهمية الموضوع، والإشكالية المطروحة، والأهداف من الموضوع، والمنهج المتبع.
2- **مدخل إلى الدرس الصوتي قبل أبي عمرو الداني**

أولا: مدخل إلى الدرس الصوتي قبل أبي عمرو الداني

مثلت كتب علماء القرآن والقراءات ثروة ضخمة رفدت الدرس الصوتي بكثير من القضايا والمسائل الصوتية المهمة، وتَمَثَّلت أغلب هذه القضايا الصوتية في ما اصطلح عليه علماء القراءات بمصطلح الأصول، مثل تحقيق الهمز وتسهيله، والإدغام والإظهار، والفتح والإمالة، والمدِّ والقصر، وغيرها من الأصول، كما

اشتمل فرشُ الحروف كثيرًا من القضايا الصوتية المهمة التي عالجها علماء الأصوات قديمًا وحديثًا[1]0

وقبل التعرف على الدرس الصوتي عند أبي عمرو نجد أنفسنا يعترضنا مسلكان؛ مسلكُ الدرس عند علماء اللغة، ومسلكُ الدرس عند علماء القراءة، نتعرف بهما أولا على حد الصوت؛ حيث عرفه الجاحظ بأنه **"آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف، ولا تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاما موزونا ولا منثورا إلا بظهور الصوت، ولا تكون الحروف كلاما إلا بالتقطيع والتأليف"**[2].

إلا أن بعض المحدثين ما زالوا يجدون في الأمر بعض اللبس؛ إذ عدَّه إبراهيم أنيس**"ظاهرة طبيعية ندرك أثرها ولا ندرك كنهها"**[3].

1- الدرس الصوتي عند علماء اللغة قبل أبي عمرو الداني:

أبلى علماء اللغة المتقدمون بلاءً جميلا في موضوع الدرس الصوتي، ما ضارع الدراسات الحديثة؛ فعلى يسر وسائلهم، فقد شملت إسهاماتهم ميادين شتى في علوم اللغة؛ من العلوم المختصة بالمعاجم، إلى النحو والصرف والبلاغة والاشتقاق بأنواعه، إلى التخصص في دراسة معاني القرآن وإعرابه وإعجازه.

وكان **للخليل بن أحمد الفراهيدي** (ت175هـ) الريادة في الدراسات الصوتية العربية، في معجمه **"العين"**؛ حيث اعتمد فيترتيبه على النظام الصوتي، والتقليبات في معرفة المخارج مبتدئا **"بالعين"**، لا لأنها أول الحروف مخرجا، ولكنها أول الحروف نصاعة وثباتا؛ والهمزة عنده هي أول الحروف مخرجا؛ فكان اعتماده على الذوق للتمييز بين مخارج الأصوات وصفاتها[4].

بينما خالفه تلميذه **سيبويه** في المنهج، في الأبواب الأخيرة من كتابه التي أفردها لدراسة حروف العربية صوتيا، من حيث عددُ المخارج، والصفاتُ؛ تمهيدا لباب الادِّغام[5]. وحصر المخارج في تسعة وعشرين حرفا أصليا، متبِعا في ذلك تقسيم شيخه **الخليل**، وظل ترتيب سيبويه هو السائد دونما تعديل أو تبديل.

---

[1]أهملت الدكتورة **مي فاضل الجبوري** في كتابها (**القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث**) كثيرًامن المسائل الصوتية التي تمثل قضايا الأصول عند علماء القراءات، منها مسألة التفخيم والترقيق، ومسألة صلة ميم الجمع بواو، وقضية هاء الضمير وغيرها، هذا فضلاً عن إهمالها لكثير من المسائل الصوتية المهمة في فرش الحروف التي تمثل طائفة كبيرة من الظواهر الصوتية في القراءات القرآنية، مع أن كتابها خصص لهذا الغرض من الدراسة0 ينظر : القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث 10 ومابعدها0

[2]الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت255هـ)، **البيان والتبيين**، ت عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، 203/3.

[3]أنيس، إبراهيم ، **الأصوات اللغوية**، مكتبة نهضة مصر، دت، 16.

[4]خليل، حلمي ، دراسات في اللغة والمعجم، 35.

[5]العبيدي، شعبان العوض ، التعليل اللغوي في كتاب سيبويه، منشورات جامعة قاريونس، بنعازي، ط1، 1999م، 154.

ثم جاء بعدهما **ابن جني** (ت 392هـ)، بدراسة مستفيضة في كتابه العظيم **"سر صناعة الإعراب"**؛ حيث عالج فيه تعريف الصوت، والفرق بينه وبين الحرف، وظواهر الإعلال والإبدال والحذف، وغيرها من الظواهر الصوتية[6].

2- الدرس الصوتي عند علماء القراءات والتجويد قبل أبي عمرو الداني:

لم يفرد علماء القراءات والتجويد موضوع الأصوات بكتب مستقلة، وإنما وقعت مباحثها مضمنة في المباحث العامة للكتب، فتضمنت إشارات كثيرة صوتية، صارت بعدها من صميم علم التجويد، وما يلزم القارئَ معرفته من مخارج الأصوات وصفاتها، وأحكامها من تفخيم وترقيق وإشمام، وغير ذلك[7].

فكانت غاية علماء التجويد في دراسة الأصوات هو معرفة مخارج الأصوات وصفاتها، ورياضة اللسان والأحكام الناشئة عن التركيب.

2-3- الدرس االصوتي عند الفلاسفة

حقق الدرس الصوتي في القرن الخامس الهجري آخر شروط الاكتمال، عند أمثال **الفارابي، وإخوان الصفا، وابن سينا** خاصة؛ إذ توفرت بين أيديهم أسباب الاستفادة العميقة من كل المجهودات للعلماء العرب وغير العرب، كما تميز البحث الصوتي العربي داخل النماذج الفلسفية ببعض مفاهيم المنطق والفلسفة[8].

ثانيا: الدراسة الصوتية عند الداني

1- الصوت والمخرج:

لم يقدم الداني تعريفا اصطلاحيا للصوت، منتهجا نهج سيبويه، في إغفاله تعريفه.

واصطلح على المخرج بالموضع، دقةً في وصف المخرج، وكون العرب لا تبدأ بساكن؛ حيث أظهر وظيفة همزة الوصل، بأنها توصل إلى النطق بالساكن، ثم يظهر لنا الداني النتيجة باستقرار اللسان في موضعه، في صورة نهائية لحركة عضو النطق، وبعا يتم معرفة مخرج الصوت[9].

أ- الجهاز النطقي

أشار الداني إلى أعضاء النطق من حيث ماهيتها ودورها في تشكيل الأصوات اللغوية؛ حيث استعمل كلمة **"عضو"**، في قوله: **"وفك الأعضاء هو إخراجها عن**

---

[6]بوعناني، مصطفى ، في الصوتيات العربية والغربية أبعاد التصنيف الفوتيتيقي ونماذج التنظير الفونولوجي، عالم الكتب الحديثة، ط1، 1431هـ، 41.

[7]الحمد، غانم قدوري ، أبحاث في علم التجويد، دارعمار، عمان، ط1، 1422هـ، 14.

[8]بوعناني، في الصوتيات العربية والغربية، 72.

[9]الداني، التحديد، 104.

موضعها"[10]، محتذيا حذو **(الكتاب)** في ذكرها، بل صرح بذلك تصريحا؛ بقوله الحلق واللسان والشفتان والخياشيم[11].

فالداني يقول إن اعتماده على كتاب سيبويه، ولم يخرج عن منهجه، بل عده قطب التجويد وملاك التحقيق، ومعرفة مخارج الأصوات وصفاتها، يفصل بعضها عن بعض، وإن اشترك في المخرج، كل ذلك على مذهب سيبويه؛ إذ هو الصحيح المعول عليه إن شاء الله[12].

فأعضاء النطق عنده هي: الحلق واللسان والشفتان، والخيشوم

وقسم الحلق إلى أقسام ثلاثة: أقصى وأوسط وأدنى، وجعل للسان مخارج عشرة، يخرج منها ثمانية عشر حرفا[13]؛ إذ هو عنده من أهم أعضاء النطق؛ لمرونته وسهولة حركته، وهذا ما أثبته المحدثون؛ **"فهو ينتقل من وضع إلى وضع، فيكيف الصوت اللغوي بحسب أوضاعه المختلفة"**[14].

و**"الشفتان تنطبقان في الباء والميم ولا تنطبقان في الواو"**؛ فتتخذان أوضاعا مختلفة بتوليد الأخرف المختلفة المتقاربة، وهذا ما وصل إليه المحدثون؛ إذ يقول السعران: **"فلا تسمحان للهواء بالخروج مدة من الزمن، ثم تنفرجان فيندفع الهواء محدثا صوتا انفجاريا كما في نطق الباء"**[15].

والخيشوم عند المحدثين "هو تجويف يندفع الهواء من خلاله عندما ينخفض، وهذه هي الحال عند النطق بالميم والنون العربيتين"[16].

ب- صفات الأصوات

قصر أبو عمرو الحروف على ستة عشر صفة تتميز بها بعد خروجها من مواضعها، فيكون منها المهموس والمجهور والمستعلي والمستفل، وحروف المد واللين، وحروف الصفير، والمتفشية والمستطيل والمتكرر والمنحرف والهاوي وحرف الغنة[17].

ولولا الكيفيات التي تصحب إنتاج كل صوت لما تميزت الحروف المشتركة في مخرج واحد؛ إذ صفة الصوت تُلازم الصوتَ وفق مخرجه ولا تنفصل عنه.

2- بعض الظواهر الصوتية

---

[10] الداني، التحديد، 70.
[11] سيبويه، الكتاب، 4/ 433-، 434، والداني، التحديد، 102.
[12] الداني، التحديد، 102.
[13] أنيس، الأصوات اللغوية، 18.
[14] الداني، التحديد، 70.
[15] السعران، محمود، علم الغة مقدمة للقارئ العربي،139.
[16] السعران، علم اللغة، 129.
[17] الداني، التحديد، 105.

أ- الإدغام: عرفه أبو عمرو في كتابه **(الإدغام الكبير)** بأنه **"تقريب وتخفيف، وإنما أدغمت العرب والقراء طلبا للتخفيف، وكراهة الاستثقال، بأن يزيلوا ألسنتهم عن موضع، ثم يعيدونها إليها؛ إذ في ذلك من التكلف ما لا خفاء به فيه"**[18].

فالتخفيف عنده وتسهيل النطق المرجو من وراء الإدغام تعليمي؛ لتجنب الثقل في النطق، وصيانةٌ للنطق.

ب- التمطيط والإشباع: بين أبو عمرو بأن التمطيط **"يحدث خاصة مع صوت الألف، فإذا لم يلق همزة وحرفا ساكنا مظهرا أو مدغما يحدث إشباع وتمطيط"**، كما في قوله تعالى: {**أوذينا**}، [الأعراف:129].

ج- البيان والإنعام والتلخيص: ويحدث هذا في عدة أصوات، مثل الهاء الساكنة والمتحركة، فيرى أبو عمرو أن على القارئ **"أن ينعم بيانها من غير تكلف"**[19]، كما في لفظ مستهزئون، وتحدث مع حرف الصاد في حال التقائه بالطاء[20]، كما في لفظ اصطفى، وتكون مع السين الساكنة إذا جاء بعدها جيم، كما في لفظ يسجد؛ فرأى أبو عمرو أن يلخص لفظها وتمنع من الجهر، وإلا انقلبت زايا[21].

3- منهج الدرس الصوتي عند أبي عمرو:

اعتمد أبو عمرو منهجا وصفيا تعليميا؛ حيث تعمق في الدرس الصوتي، وأكثر الحديث حوله، تبعا لتخصصه في علم التجويد والقراءات، فكان منهجه واضحا في دراسته لعلم الأصوات، في وصفه لمخارج الأصوات وصفاتها، ويظهر المنهج التعليمي عنده في كشفه الستار عن ملامح البحث الصوتي بطريقة التعلم؛ حيث قدم المعلومة بأسلوب سهل على المتلقي تعلمه. واعتمد الاستقراء والوصف في تتبعه كلام العرب، وكان يعرض آراء العلماء عالما بعد عالم، ثم يلحقها برأيه وتعقيبه، وترجيحه لما يراه أحق وأصوب.

وأما في دراسته الظواهر الصوتية فقد كان يفصل، كما في ذكره حقائق الألفاظ، وحدود النطق بالحرف؛ فبين أن التجويد لا يتمكن إلا بمعرفة حقيقة النطق بالمتحرك والمسكن والممال، ثم يفصل في هذه المصطلحات، مستشهدا بآي القرآن، أمينا في نسبة الأقوال لأصحابها، أو إلى مصادرها من كتب اللغة والنحو والفقه، وأشهرها **"الكتاب"**، بينما قل استشهاده بالشعر والأمثال والنثر من كلام العرب.

خاتمة

- البحث في علم الأصوات على يد علماء التجويد خدم الدرس الصوتي، وقدم له دفعة علمية.

---

[18] الداني، الإدغام الكبير، ت عبدالرحمان العارف، عالم الكتب، ط1، 93، 1424، 93.
[19] الداني، التحديد، 123، ورفوع، إبراهيم، الدرس الصوتي عند الداني، 148.
[20] الداني، التحديد، 145، ورفوع، الدرس الصوتي عند الداني، 148.
[21] رفوع، الدرس الصوتي عند الداني، 148.

- استفادة علماء التجويد والقراءات ومنهم أبو عمرو من جهود علماء اللغة الذين سبقوهم.
- الهدف التعليمي بارز في دراسة أبي عمرو كما هو عند علماء التجويد والمصنفين فيه.
- الهدف الأول عند علماء التجويد من دراسة الصوت كان معرفة مخارج الأصوات، والوقوف على الأحكام الناشئة عن التركيب ورياضة اللسان.

والحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

1- أنيس، إبراهيم، **الأصوات اللغوية**، مكتبة نهضة مصر، دت، 16.
2- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت255هـ)، **البيان والتبيين**، ت عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، 203/3.
3- خليل، حلمي ، **دراسات في اللغة والمعجم**، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1998م، 35.
4- الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد (ت 444هـ)، **التحديد في الإتقان والتجويد**، ت غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان، ط1، 1421هـ، 102.
5- السعران، محمود، **علم اللغة مقدمة للقارئ العربي**،139.
6- العبيدي، شعان العوض ، **التعليل اللغوي في كتاب سيبويه**، منشورات جامعة قاريونس، بنعازي، ط1، 1999م، 154.
7- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، **الكتاب**، ت عبدالسلام هارون ، دار الجيل، ط1، 4/ 433-، 434.
8- الحمد، غانم قدوري ، **أبحاث في علم التجويد**، دار عمار، عمان، ط1، 1422هـ، 14.
9- بوعناني، مصطفى، **في الصوتيات العربية والغربية أبعاد التصنيف الفوتيتيقي ونماذج التنظير الفونولوجي**، عالم الكتب الحديثة، ط1، 1431هـ، 41.